المنهج النبوي في التربية والتعليم (5/10)

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 31 مايو 2017

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

نعتقد – وفي رأينا المتواضع – أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تعامل مع المجتمع الذي عاش فيه – من ناحية العملية التعليمية التعلمية – وفق 7 محاور، وهي كالتالي:

الاهتمام بالقدوة

إن الاقتداء في الإنسان فطرة، إذ إنه يولد جاهلاً لا يعلم شيئًا ثم يشرع في تعلُم ما يراه وما يسمعه شيئًا فشيئا، ومثله كمثل الأرض العطشى التي تريد الري، لذلك نجد الطفل يراقب سلوك الكبار ويكتشف ويقتدي بعد ذلك مباشرة، ومنه يعلم أن الاقتداء هو الطريق الأول والسابق للتلقي، ويؤكد ذلك سلوك الطفل الصغير حين يشرع في التكلم، فهو يكرِّر من الكلام ما يسمع سواء فهمه أو لم يفهمه، ويقلد والديه أو من يكبره من إخوته في أفعالهم وحركاتهم.

من أكثر الأدلة التي تبين أهمية أسلوب القدوة قوله عز وجل (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) سورة الأحزاب – الآية 211، فالآية الكريمة بينت لنا

المثال الأول الذي ينبغي أن نقتدي به وهو الرسول صلى اللّه عليه وسلم، فإنه ولا شك كما كان هادياً بقوله كان أيضًا هادياً بفعله، فنبغي على المسلم أن يقتدي به في أمر العبادة وقد قال صلى اللّه عليه وسلم: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) رواة البخاري.

ومن الأدلة المرشدة إلى أهمية هذه الوسيلة وخطورتها قوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) سورة الصف – الآيات 2 و3، فإن من حِكَم النهي عن أن يخالف القول العمل إعطاء القدوة الحسنة واجتناب القدوة السيئة، وكذلك لما قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم: (اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا) رواة البخاري ومسلم، رمى إلى مقاصد أظهرها أن يقتدي الأولاد الصغار الذين لا يؤتى بهم إلى المسجد بآبائهم.

التعامل وفق الأخلاق الحسنة

قال اللّه عز وجل في سورة القلم – الآية 4 (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، هذه الآية مرشدة لكل مربي ولكل معلم ولكل أب ولكل أم ولكل مسلم إن التعامل مع الناس لابد وأن يكون وفق الأخلاق الحميدة الحسنة، فبتلك الأخلاق يستطيع المربي أن يربي.

وتروي لنا كتب سيرة المصطفى أنه صلى اللّه عليه وسلم كان أحسن الناس خُلقًا وأكرمهم وأتقاهم، عن أنس رضي اللّه عنه قال: (كان النبي صلى اللّه عليه وسلم أحسن الناس خلقًا)، رواه الشيخان وأبو داود والترمذي. وعن صفية بنت حيي رضي اللّه عنها قالت: (ما

رأيت أحسن خلقًا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم)، رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن. وقالت عائشة رضي اللّه عنها لما سُئلت عن خُلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: (كان خُلقه القرآن) صحيح مسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين؛ (حسن الخلق أي حسن الخلق مع اللّه، وحسن الخلق مع عباد اللّه، فأما حسن الخلق مع اللّه فان تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعًا، فإذا أمرك اللّه بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح. أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره. على الرغم من حُسن خلقه حيث كان يدعو اللّه بأن يحسّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام.

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت (كان صلى اللّه عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خُلقي)، رواه أحمد ورواته ثقات. عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال كان صلى اللّه عليه وسلم يدعو فيقول (اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)، رواه أبو داود والنسائي.

لنواصل غدًا محاور التعليم التي انتهجها رسول اللّه في العملية التعليمية غدًا.